

## وزراء لا يلعبون بالملايين



### موسى برهومة

يحدث أن نجلس مع مسؤولين ووزراء ومديرين سابقين ونتحدث عن الفساد والمفسدين في الأرض، ونكتشف أن ثمة على هذه الأرض من يستحق أن نعتته بالنزاهة والاستقامة ونظافة اليد والوجه واللسان.

ونسعد حينما نسمع أن وزيرا سابقا شغل مواقع مهمة ينبئنا بأنه لو لا راتبه التقاعدي وما يجنيه من عيادته لمات من الجوع. ونغتبط عندما يشكو وزير ومدير عام سابق لمؤسسة وطنية يتعدى رأسمالها مئات الملايين من عدم قدرته على تزويج ابنه الذي شارف على الثلاثين، لأنه لا يملك إلا شقته المتواضعة وراتبه الشهري الذي لا يمكنه من شراء شقة لنجله البكر.

ولأن ذاكرة الناس عامرة بالطيب، فإنهم يحكون بزهو عن نساء ورجال خدموا في الحقل العام، وظلوا معتصمين بالعفة والطهارة، ولم يدخل جيبهم أي فلس غير مشروع، وظلوا حراسا على المال العام، وأوفياء مخلصين لصورة الدولة.

ولأن "الخير في وفي أمتي إلى يوم الدين" بحسب الحديث النبوي الشريف، فينبغي ألا نبقي أسرى الكلام عن الفاسدين الذين تخرجهم ذاكرة الناس من دائرة البياض، وتسبغ عليهم أوصافا وتعليقات لا يكفي صابون العالم ومطهراته لتبييضها وتنقيتها، وكلنا يشترك في نعت أشخاص يتحركون بين ظهرانينا، وتظهر صورهم في وسائل الإعلام ويترشحون للنيابة ويشغلون مواقع مهمة، ونجالهم إن جمعنا القدر بهم، لكنهم حالما يذهبون نستعيد، على الفور، ماضيهم غير المشرف في السرقة واستغلال المنصب ونهب المال العام.

الناس، بما جُبلوا عليه، يميلون إلى النزاهة.. إنهم يكبرون بهذه النماذج التي يتعين أن نعممها لتكون نبراسا لأبنائنا الذين علينا أن نربيهم على أن الاستقامة هي رأس المال الحقيقي الذي لا يمكنه أن يفنى أو يتبدد، بينما السارقون وناهبو قوت الشعب ومزورو فطرته، فمألهم الصيت الشائن والمذمات المتعاقبات مهما تقادمت السنون.

ثمة خير في مجتمعنا. هذه حقيقة لا يجوز إغفالها أو القفز عنها بذريعة غلواء "قيم" الفساد والنهب السريع والخاطف للمال العام. ثمة قيم أكثر أصالة وبقاءً جوهرها الفروسية والشجاعة والتضحية، لأن هذه المبادئ هي ما يمنح الإنسان هويته وبصمته الروحية.

ثمة ماء غزير في نصف الكأس. وهذه النماذج العظيمة تملأ النصف المتبقي. وكم أثلج صدري حديثُ صديقي عندما أبلغني أنه يشعر بالفخر بالاقتران بزوجته، لأن أباه (الوزير السابق) ظلت يدها ناصعتي البيضاء، وكذلك جيبه وقلبه، رغم أن كثيراً من "زملاء" الوزير السابق صاروا على حد قوله "يلعبون بالملايين"!

"طز" بكل الملايين إذا كانت السمعة ملطخة، وإن كانت الفلل والمزارع مبنية من مال سرق مني ومنك ومنكم. ونحن أبدأ لن نسامح أولئك الناهبين أموالنا وأحلامنا، وسوف نظل، ما ظل الشغف يلزم أرواحنا، نطارده هؤلاء ونحاصرهم ونبذهم، وفي المقابل، وهذا هو الأهم، أن نصنع النموذج البديل المرصع بالطهارة والنزاهة والاستقامة.

لا نحلم إن نحن دافعنا عن حقنا، وزرعنا في أبنائنا القيم النبيلة، وعودناهم على أن "الحياة وقفة عز" وأن الذكر الطيب خير وأبقى من المال الكثير المسلوب من عرق الناس البسطاء..

لا نحلم أبدأ إن نحن ذهبنا بعيدا في هذا المسار المكمل بالأمل..

وليكن، فلنحلم، وما الضير في ذلك؟

أن نحلم يعني أن نمتلك القدرة على إنتاج البديل المختلف..

وأن نحلم يعني أن ما كينة الروح تعمل باتجاه صياغة مستقبل مؤثث بالقيم العليا.. وهي القيم ذاتها التي شيدت مدماك الحضارة والتمدن، وبشرت بعهد إنساني عريق قوامه الحرية والعدالة والحب والجمال.

\*نقلا عن جريدة "الغد" الأردنية